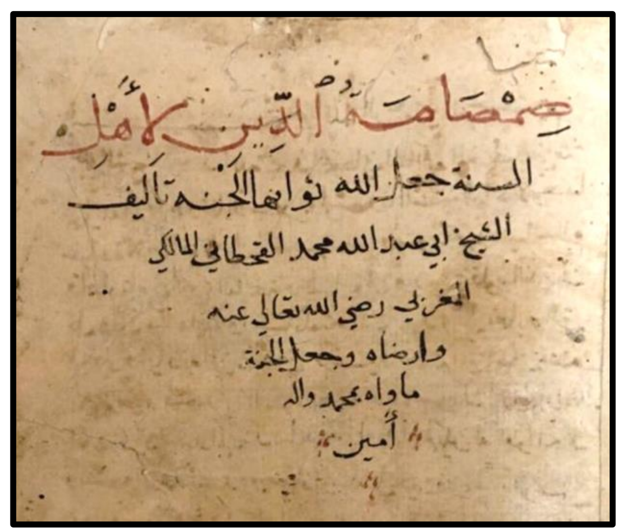
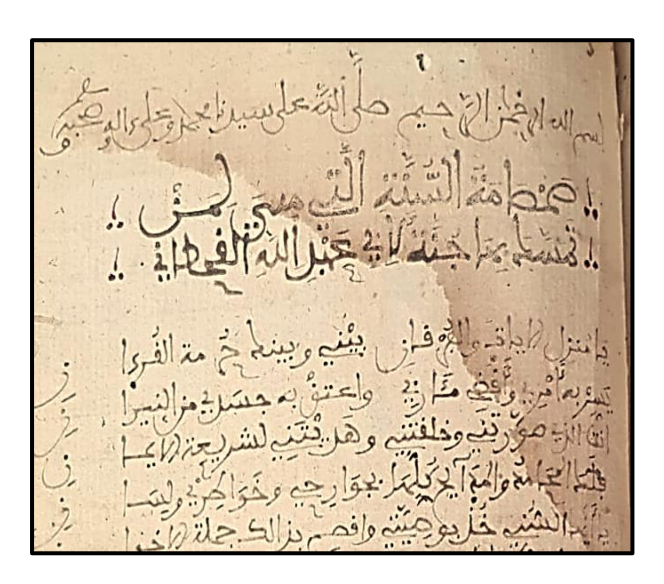
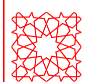
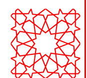


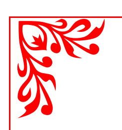
توثيق نسبة القصيدة النونية للإمام القحطاني المالكي،ومناقشة قول من شكك فيها


السنة جعل الله ثوابها الجنة تأليف
الشيخ ابي عبد الله محمد القحطاني المالكي
المغربي رضي الله تعالى عنه
وارضاه وجعل الجنة
ماواه بمحمد واله
آمين


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

بقلم: د. نبيل بلهي




توثيق نسبة القصيدة النونية للإمام القحطاني المالكي.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد ،وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فقد سئلت من بعض الطلبة – جزاهم الله خيرا- عن صحة نسبة القصيدة المشهور بـــ(نونية القحطاني) للإمام أبي عبد الله القحطاني وهي قصيدة سنية في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، خاصة أنه قد أثيرت إشكالات حول ثبوت هذه القصيدة، وزعم البعض أنها من تلفيق واختراع المعاصرين، وليست لرجل من المتقدمين اسمه أبو عبد الله القحطاني المالكي.

والجواب عن هذا من و جوه:

☑ أولا هذه القصيدة ثابتة للإمام القحطاني مشهورة عند العلماء ، وقد نسبها لنفسه في آخر بيت فقال:

بالله قولوا كلما أنشدتم ... رحم الإله صداك يا يا قحطاني.

ونقل عنها الإمام ابن قيم الجوزية المتوفى(٧٥١هـ)مثنيا على الشاعر:

قال ابن القيم في نونيته:

ولقد شفانا قول شاعرنا الذي ... قال الصواب وجاء بالإحسان

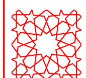
إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان

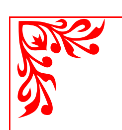
هو قول ربي آيه وحروفه ... ومدادنا والرق مخلوقان

وأبيات الشاعر القحطاني هي قوله :

إني أقول فأنصتوا لمقالتي ... يا معشر الخلطاء والإخوان

إن الذي هو في المصاحف مثبت ... بأنامل الأشياخ والشبان



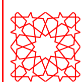


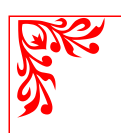
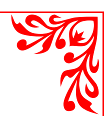

وهذا يدل على أن نونية القحطاني كانت مشـــهورة في عصرــ ابن القيم، لذلك اقتبس منها، ووظف أبياتها في نونيته، لا كما يقول المعترضون أنها من إختراع المعاصرين.

- وهكذا نقلها عنه الشيخ علي بن سليمان آل يوسف صاحب كتاب: (أربع البضاعة في معتقد أهل السنة و الجماعة).

☑ ثانيا بحمد الله تعالى تم الوقوف على نسختين مخطوطتين لهذه القصيدة: تثبت أنها عتيقة وليست منحولة .

النســخة الأولى: من محفوظات المكتبة الكتانية، وهي من من محفوظات المكتبة الوطنية بالرباط برقم (١٠٤٢K). وعنوانها (صمصامة السنة التي هي لمن تمسك بها الجنة) لأبي عبد الله القحطاني.

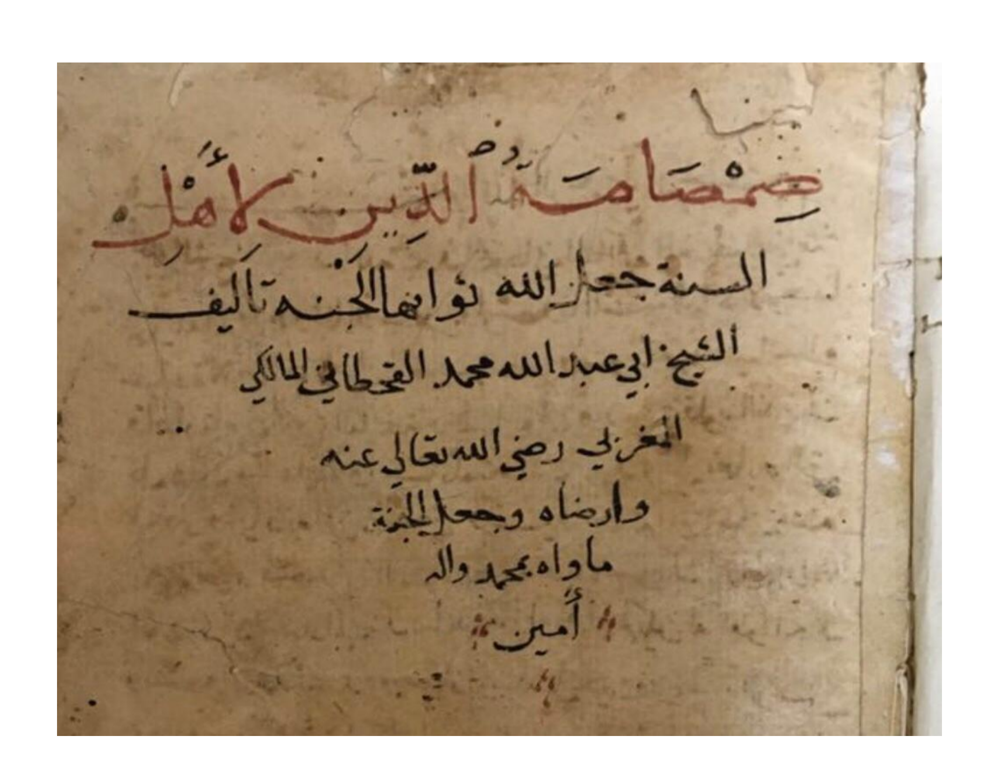


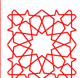



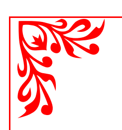
النسخة الثانية: بعنوان: صمصامة الدين لأهل السنة

وصفها الأستاذ: شبيب العطية بقوله:

نسخة تامة ضمن مجموع ، ترجع إلى القرن التاسع أو العاشر تقديراً ومن مميزاتها أنها حفظت لنا مقدمة المؤلف ، وذكر في مقدمته أنه شرع في تصنف كتاب بعنوان (إيضاح الدلالة على تبليغ الرسالة) ، قال في آخر المقدمة : ((فما أصبت فيه فالله وفقني لفضله ، وما أخطأت فالزلل والنسيان موقوف على الانسان . وعدد أبياتها سبعمائة بيت وسبعة وثلاثون بيتاً ، وإنما شغلني عن تحريرها ما حدثت به نفسي من تصنيف كتاب سميته "إيضاح الدلالة على تبليغ الرسالة" ، وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير".


صمصامة الدين لأهل السنة جعل الله ثوابها الجنة تأليف
الشيخ أبي عبد الله محمد القحطاني المالكي
المغربي رضي الله تعالى عنه
وأرضاه وجعل الجنة
مأواه بمحمد وآله
آمين



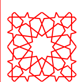



وجاء في أولها

قال الشيخ أبو عبدالله محمد القحطاني المالكي المغربي رضي الله عنه:

"الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وأرشدنا للسنة الواضحة ، وجنبنا عبادة الأصنام ، وعلمنا أطيب الكلام ، وشرفنا بمحمد عليه السلام ، وأعاذنا من البدع الفاضحة ، وعلمنا القرآن ، وزين في قلوبنا الإيمان ، كل ذلك مَنّاً علينا ، واحساناً منه إلينا ، نحمده على نعمائه التي لا تحصى ، وأياديه التي لا تتقصى ، ونسأله رحمته التي لا تنال منه إلا بالرضى ، ونشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له كفواً أحداً

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله على حين فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، فأزاح به العلل ، ونسخ بملته جميع الملل ، ثم نقله إليه ، واختار له ما لديه ، فصلوات الله وملائكته عليه ، وعلى آله الطيبين وأصحابه المنتخبين وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين اعلموا رحمنا الله وإياكم معاشر الاخوان ، والأخدان من أهل السنة والجماعة ، الفائزين بالشفاعة ، أني لما رأيت اتباع الأهواء ، وتطاول السفهاء ، وتجادل العلماء .. وتتابع البدع ، وكثرة الخدع ، وتلاعن المسلمين ، وتشاجر المؤمنين ، حرضني ذلك على نظم قصيدة جمعت فيها أصول السنة ، واعتقاد خير الأمة ، وهم الصدر الأول ، الذين عليهم المعول ، وسميت هذه القصيدة "صمصامة الدين" لأهل السنة جعل الله ثوابها الجنة ".






النسخة الثالثة: قطعة من القصيدة في شكل وصية

محفوظ بمكتبة غوته بجامعة إرفورت

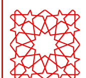
4

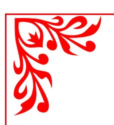
قصيدة تتضمن وصية ونصيحة

يا ايها الساعي خذ بوصيتي ، واخصص بذلك جملة الاخوان
واقبل مقالة مشفق متودد ، واسمع بفهم حاضر يقظان
اخزن لسانك بالسكوت فانه ، زين الحليم وسترة الحيران
لا تمش ذا وجهين ما بين الورى ، شر البرية من له وجهان
لا تحسدن احدا على نعمائه ، ان الحسود لحكم ربك شان
لا تبد منك الى خليلك زلة ، واجعل فؤادك وامق الخلان
لا تحقرن من الذنوب صغارها ، فالقطر منه تدفق الخلجان
لا تشغلن بعيب غيرك غافلا ، عن عيب نفسك انه عيبان
كن فاعلا للخير معترفا به ، فالقول مثل الفعل مقترنان
كن طول دهرك خاشعا متواضعا ، فهما لكل فضيلة بابان
صن ماء وجهك بالقناعة انما ، صون الوجوه مروة الفتيان
اعرض عن الدنيا الدنية زاهدا ، فالزهد عند ذوي النهى لونان
الزهد في الدنيا وزهد للثنا ، طوبى لمن كملا له الزهدان
واحفظ لجارك حقه وجواره ، فلكل جار مسلم حقان
واضحك لضيفك حين ينزل رحله ، ان الكريم ليسر بالضيفان
وصلا ذوي الارحام يوما ان جفوا ، فرضاهمو اخير من الهجران
واذا خلوت بريبة في ظلمة ، والنفس داعية الى الطغيان
فاستحي من نظر الاله وقل لها ، ان الذي خلق الظلام يران

كن طالبا للعلم واعمل صالحا ، فهما الى سبل الهدى سببان
كن حلس بيتك ان سمعت بفتنة ، وتوق كل منافق فتان
لا تحش بطنك بالطعام لتسمنا ، فجسوم اهل العلم غير سمان
دع ثلث بطنك للتنفس تسترح ، واجعل لمائك والغذا الثلثان
قم في الدجا واتل الكتاب ولا تنم ، الا كنومة خائف ولهان
فلربما اتت المنية بغتة ، فتساق من فرش الى الاكفان
يا حبذا عينان في غسق الدجى ، من خشية الرحمن باكيتان
هذي وصية ناصح متودد ، يبقى لكم ذكرا امد الازمان
فتلقها بالراحتين معطفا ، قدرا لها بالبر والاحسان
ثم الصلاة على النبي محمد ، ما ناح قمري على الاغصان
وعلى جميع بناته ولنسائه ، وعلى جميع الصحب في الاحيان

تمت الوصية بحمد الله
وعونه وصلواته
على سيدنا محمد
واله وصحبه
امين
امين
امين






☑ ثالثا: مما يدل على أن نونية القحطاني، قصيدة عتيقة ونفيسة، تبين معتقد أهل السنة في القرون الأولى، هو اقتباس بعض الأندلسيين المتقدمين منها، فقد نقل منها أبو محمد الطليطلي الأندلسي، المعروف بابن العسال (٤٨٧هـ) منها في كتابه الذي طبع بآخرة بعنوان: (الناهي عن شهود الملاهي وارتكاب المناهي) وهذا يدل أنها كانت معروفة في بداية القرن الخامس.

الناهي عن شهود الملاهي وارتكاب المناهي

إملاء

أبي محمد عبد الله بن فرج اليحصبي الطليطلي

المعروف بابن العسال

(ت ٤٨٧هـ)

ولَيسَ هَذا والله مِن أخلاقِ المُؤمِنينَ؛ لأنّ الإيمانَ اعتقادٌ بِالقلبِ وعَمَلٌ بالجوارح، ومَع ذلكَ التَّقوى، وهَذا الرجلُ وشِبهُه لَم يَتَّقِ الله، ولو أنّه اتَّقى الله ما عَمِلَ بِنَفسِه وزَوجَتِه هذا العملَ المؤَدِّيَ إلى النار، وكَيفَ يَكونُ مُتَّقِي(٢)، مَن لا يَدرِي مَن يَتَّقِي؟ أو كَيفَ يَكونُ مُؤمِنًا خالصًا مَن لا يَعرِفُ شُعَبَ الإيمانِ؟

كَما قالَ الشّاعِرُ(٣): [الكامل].

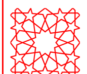
إيمانُنـا بـالله بَيـنَ ثَلاثـةٍ ... عَمَلٍ وقـولٍ واعتقـادِ جَنانِ

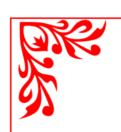
ويَزيـدُ بِالتَّقوى ويَنقُـص بِالخَنا ... وكِلاهُما في القَلبِ يَختَلِجانِ

وإذا خَلَـوتَ بِرِيبـةٍ فـي ظُلمـةٍ ... والنفـسُ داعيةٌ إلـى الطُّغيانِ

(١) في (ع): «يتغامزون». (٢) كذا في الأصول.

(٣) هو المعروف بالقحطاني، ولا تُعرَف ترجمته إلى الآن على التحقيق، وهذه الأبيات وما بعدها موجودة في نونيته الطويلة مع بعض الاختلاف.






وهكذا نقل منها ابن طملوس الشقري (٦٢٠ هـ) «في كتابه مختصـــر في المنطق» (ص٥).

وأبو عبد الله الجندي االســـكســـكي (٧٣٢هـ) في كتابه «الســـلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢/٢٤٤)

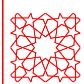
وبدر الدين الأهدل اليمني (٨٥٥هـ) في كتابه «تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن» (١/٥٣٢)... وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

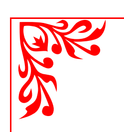
خلاصة التحقيق:

القصيدة النونية نسبتها موثوقة لأبي عبد الله القحطاني المالكي، وهو علم مبرز من أعلام أهل السنة في القرن الخامس الهجري – تقريبا- واسمها الحقيقي (صِمْصَامة السنة التي هي لمن تمسك بها الجنة) أو (صِمْصَامة الدين لأهل السنة)

نُسِبَت هذه القصيدة (خطئا) إلى رجل قحطاني أندلسي ، هو أبو محمد عبد الله بن محمد القحطاني، فقيه وحافظ أندلسي مالكي (٣٨٣هـ) ومن هنا دخل الخلل، لأن القحطاني صاحب النونية له قصيدتان في الرد على أبي العلاء المعري (٤٤٩هـ) الذي جاء من بعده فلا يمكن أن يكون هذا الحافظ الأندلسي صاحب النونية.

والصواب أنها لأبي عبد الله القحطاني المغربي (وقيل الأندلسي) من علماء القرن الخامس الهجري – معاصر للمعري- كان شاعرا مفلقا، متمسكا بالسنة، منابذا للبدع في الدين، له كتاب اسمه (إيضاح الدلالة على تبليغ الرسالة)، ولعل كتبه تعرضت للإتلاف بسبب جهره بمعتقده، لذلك لم تشتهر ولم تصلنا إلا القصيدة التي حفظها الله، ووصلت إلينا.






وبعد هذه الأدلة القاطعة الواضحة لا يمكن للمنصف إنكار نسبة نونية القحطاني في معتقد أهل السنة، لعالم مالكي مغربي متقدم، هو أبو عبد الله القحطاني، ولا يمكنه كذلك اتهام بعض المعاصرين بتلفيقها واختراعها، فالكذب والتلفيق ليس من أخلاق أهل السنة والجماعة، كما أن التشكيك في الكتب والمنظومات بغير دليل ليس من شيم الباحثين عن الحق، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد.

جمعه :

الدكتور نبيل بن أحمد بلهي

ليلة ٧ من جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ

وزاد تنقيحه:

صبيحة ١٠ جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ.

الدكتور
نبيل بن أحمد بلهي
أستاذ الحديث وعلومه

